

روح المعاني

وليسوا عليها فى الحقيقة لعدم عملهم بموجبها ومخالفتهم لما فى الانجيل من التبشير
بنبينا صلى الله عليه وسلم وقيل : للإشارة إلى أنهم لقبوا بذلك أنفسهم على معنى أنهم
أنصار الله تعالى وأفعالهم تقتضى نصره الشيطان فيكون العدول عن الظاهر ليتصور تلك الحال
فى ذهن السامع ويتقرر أنهم ادعوا نصره الله تعالى وهم منها بمعزل ونكتة تخصيص هذا الموضوع
بإسناد النصرانية إلى دعواهم أنه لما كان المقصود فى هذه الآية ذمهم بنقض الميثاق
المأخوذ عليهم فى نصره الله تعالى ناسب ذلك أن يصدر الكلام بما يدل على أنهم لم ينصروا
الله تعالى ولم يفوا بما واثقوا عليه من النصر وما كان حاصل أمرهم إلا التفوه بالدعوى
وقولها دون فعلها ولا يخفى أن هذا مبنى على أن وجه تسميتهم نصارى كونهم أنصار الله
تعالى وهو وجه مشهور ولهذا يقال لهم أيضا : أنصار وفى غير ما موضع أن عيسى عليه السلام
ولد فى سنة أربع وثلثمائة لغلبة الأسكندر فى بيت لحم من المقدس ثم سارت به أمه عليها
السلام إلى مصر ولما بلغ اثنتى عشرة سنة عادت به إلى الشام فأقام ببلدة تسمى الناصرة أو
نصورية وبها سميت النصارى ونسبوا إليها وقيل : إنهم جمع نصران كندامى وندمان أو جمع
نصرى كمهرى ومهارى والنصرانية والنصرانة واحدة النصارى والنصرانية أيضا دينهم ويقال
لهم : نصارى وأنصار وتنصر دخل فى دينهم فنسوا على إثر أخذ الميثاق حظا نصيبا وافرا مما
ذكروا به فى تضاعيف الميثاق من الإيمان بالله تعالى وغير ذلك من الفرائض وقيل : هو ما كتب
عليهم فى الانجيل من الإيمان بالنبي A فنبدوه وراء ظهورهم واتبعوا أهواءهم وتفرقوا إلى
اثنتين وسبعين فرقة فأغرينا أى ألزمتنا وألصقنا وأصله اللصوق يقال : غريت بالرجل غرى
إذا لصقت به قاله الأصمعى وقال غيره : غريت به غراء بالمد وأغریت زيدا بكذا حتى غرى به
ومنه الغراء الذي يلصق به الأشياء وقوله تعالى : بينهم طرف لأغرينا أو متعلق بمحذوف وقع
حالا من مفعوله أى أغرينا العدو والبغضاء كائنة بينهم .
قال أبو البقاء : ولا سبيل إلى جعله طرفا لهما لأن المصدر لا يعمل فيما قبله وأنت تعلم أن
منهم من أجاز ذلك إذا كان المعمول طرفا وقوله تعالى : الى يوم القيامة إما غاية للاغراء
أو للعدواة والبغضاء أى يتعادون ويتباعدون إلى يوم القيامة حسبما تقتضيه أهوائهم
المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية إلى التفرق إلى الفرق الكثيرة ومنها النسطورية :
واليعقوبية والملكانية وقد تقدم الكلام فيهم فضمير بينهم إلى النصارى كما روى عن الربيع
واختاره الزجاج والطبرى وعن الحسن وجماعة من المفسرين أنه عائد على اليهود والنصارى
وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون .

- فى الدنيا من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به والكلام مساق للوعيد الشديد بالجزاء والعقاب فالإنباء مجاز عن وقوع ذلك وانكشافه لهم لا أن تمت أخبار حقيقة والنكته فى التعبير بالإنباء الإنباء بأنهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الأعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها فى إفادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الإخبار بها والالتفات إلى ذكر الاسم الجليل لما مر مرارا والتعبير عن العمل بالصنع للإيذان برسوخهم فيه وسوف لتأكيد الوعيد يا أهل أهل الكتاب التفات إلى خطاب الفريقين من اليهود والنصارى على أن الكتاب جنس صادق بالواعد